حقيقة رؤية الملائكة في الدنيا
"دراسة عقدية"

د. عطاالله بخيت حماد المعايطة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/٦/١٨م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٧/٨/١٤م

ملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله تعالى خلق عوالم كثيرة في هذا الوجود؛ لحكمة أرادها، ومن هذه العوالم الملائكة الكرام، وآمن المؤمنون بهؤلاء الملائكة كما آمنوا من قبل بخالقهم جل جلاله، وكان الخبر عن وجودهم وخصائصهم وأعمالهم من الوحي الصادق الذي وصل للأنبياء والرسل من ربهم، عن طريق مقدمهم عند الله وهو جبريل ﷺ، ولعل أبرز قضية تخصهم ورأيت أنها لم تبحث بعمق هي رؤيتهم في هذه الدنيا، وقد حاولت تجميع الحقائق حول هذه القضية، فلم أجد شيئاً يشفي ما في الصدر إلا النصوص الشرعية الربانية والنبوية وما وافقها من أقوال العلماء، بعيداً عن الظن والتخمين، لأنها قضية غيبية لا يصح التعامل معها إلا في إطارها النصي الصحيح، لذا كان هذا البحث نصياً بحتاً مرجعه الدليل من القرآن والسنة، لم أدخل به أقوال الفرق الإسلامية أو آراء أهل الأديان الأخرى، راجيا من الله تعالى أن يكون إضافة إيمانية علمية في واقع العقيدة والفكر الإسلامي المعاصر.

الأحرف الدالة: عالم الغيب – ملائكة – عقيدة.

Abstract

Allah almighty has created numerous creatures and that is for wisdom. Amongst these worlds is the honored angels. Believers believe in the angels as they believe in their Creator. Knowledge concerning the angels; their existence, characteristics and jobs, came as revelation from Allah to the prophets via Jibreel peace be upon him. The most important issue regarding the angles which, I believe, has not been thoroughly examined is seeing them in this world. I have collected relevant facts and I have not found strong evidence except what are mentioned in the Qur'an and the Prophetic Sunnah as well as scholars' sayings which are based on them. The subject of seeing the angels should not be dealt with on the basis of speculations and guesses since it is related to the unseen. Therefore, this research comes to be based on the trusted texts; the Qur'an and the Sunnah without referring to the opinions of Islamic sects or other religions. It is hoped that the current research will add useful knowledge to the field of Creed and modern Islamic thought.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

فإن عالم الغيب هو العالم الذي يتميز به المؤمن عن الكافر، ومن هذا الغيب الذي أخبرنا الله به هو عالم الملائكة الأبرار، وهذا العالم لا يمكن لأحد الخوض به تصوراً واعتقاداً إلا من خلال الخبر الصادق الذي امتن الله به على البشرية

* أستاذ مشارك، الجامعة الأردنية.

ببعثة النبي الخاتم محمد -عليه الصلاة والسلام- وإنزال الكتاب الحق القرآن الكريم، وخبر النبي نفسه وأحواله التيرآهامن هذا العالم الغيبي الكبير.

ولما رأيت خلو الدراسات العلمية من عرض موسع لرؤية الملائكة الأبرار، اخترت هذا الموضوع؛ لدراسته ومعالجته على هذه الصورة النصية المقيدة بعيداً عن الاحتمالات والخيالات التي لا تفيد اعتقاداً صحيحاً يعتد به؛ لذا ظهرت هذه الرسالة ملتزمة بمنهج السلف القائم على التفصيل فيما فصلت به النصوص القرآنية والأخبار النبوية الصحيحة، وإجمالاً فيما أجملت هذه النصوص وتلك الأخبار، التزاماً بقول الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**[الإسراء: ٣٦].

مشكلة البحث.

لعل أهم إشكالية يحاول هذا البحث تجليتها هي بيان الحق فيما ورد في القرآن الكريم من استحالة رؤية الملائكة في الدنيا، وإمكانية هذه الرؤية أيضاً وحدوثها في نطاق محدود كما وردت به النصوص الصحيحة؛ وذلك لأنه ليس هناك مشكلة في البحث للإنسان المؤمن بالإخبار الإلهي عن عوالم الغيب ومنها الملائكة، ولكن الإشكالية تكون عند الشاك المتردد، وعند من خاضوا في مسائل الاعتقاد على وجه الخرافة والتخمين والتصور العقلي المجرد بعيداً عن الدليل الموافق للحق، وعجزوا عن قبول النصوص الربانية والنبوية في التصور والاعتقاد، إن الاقتراب من النصوص ودلالتها يفضي إلى إيمان ويقين أعمق في تصور عالم الغيب الذي أصبح يواجه تحدياً كبيراً مع شيوع الإلحاد والعلمنة في العالم.

محددات البحث:

سوف أقتصر في هذا البحث على الدليل القرآني والأحاديث النبوية وتفسيراتها من علماء أهل السنة فقط، وقد تجنبت أقوال الفرق الأخرى وأهل الأديان؛ لضيق المساحة المسموح بها في مثل هذه البحوث.

أهمية البحث.

تبدو أهمية البحث في تحقيق طبيعة هذه الرؤية، وخصائصها، وضوابطها، وتمايز البشر فيها، بخاصة الأنبياء والرسل والبشر العاديون.

الهدف من هذا البحث.

الاقتراب من النصوص الشرعية وإبراز عمق دلالتها على عالم الملائكة وهو عالم غيبي، وزيادة الإيمان به والشعور بعظمته.

الدراسات السابقة.

كتب الكثير من الباحثين عن الملائكة والإيمان بهم من الرسائل العلمية والكتب، ولكني لم أعثر على من أفرد رؤيتهم ببحث مستقل على هذه الصورة المفصلة التي أفردتها بهذا البحث، وقد عثرت على رسالة صغيرة للإمام السيوطي -رحمه الله- ضمن "كتابه الحاوي للفتاوي" بعنوان "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك"[١]، وقد ركز فيها المؤلف على قضية رؤية الملك في المنام، وساق شواهد أخرى على رؤية الملائكة في حال التشكل على هيئة البشر.

خطة البحث.

المقدمة.

مشكلة البحث.

أهمية البحث.

الهدف من هذا البحث.

الدراسات السابقة.

تمهيد: المصطلحات ذات الصلة.

المبحث الأول: رؤية الملائكة بين الاستحالة والإمكان.

المطلب الأول: استحالة رؤية الملائكة.

المطلب الثاني: إمكانية رؤية الملائكة.

المطلب الثالث: رؤية آدم للملائكة وإبليس في الجنة التي عاش فيها.

المطلب الرابع: رؤية جملة من الأنبياء للملائكة في الأرض.

المبحث الثاني: رؤية نبينا محمد ﷺ للملائكة.

المطلب الأول والثاني، سماع الصوت ورؤية الضوء.

المطلب الثالث: رؤيته الملك قبل البعثة.

المطلب الرابع: رؤيته لجبريل على خلقته الأصلية.

المطلب الخامس: رؤيته جبريل على هيئة البشر.

المطلب السادس: رؤيته لملائكة آخرين غير جبريل.

المبحث الثالث: رؤية الصحابة للملائكة الكرام.

المطلب الأول: الرؤية على هيئة البشر.

المطلب الثاني: الرؤية على هيئة السرج والمصابيح.

المطلب الثالث: رؤية أثر الملائكة.

المطلب الرابع: رؤية الملائكة مناماً من بعض الصحابة.

المبحث الرابع: رؤية النساء للملائكة وسماع ندائهم.

المبحث الخامس: رؤية الملائكة في بني إسرائيل.

تمهيد: تعريف المصطلحات ذات الصلة.

تعريف الغيب: قال الجوهري: "الغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك. تقول: غاب عنه غَيبةً وغيباً وغياباً وغيوباً ومغيباً. وجمع الغائب غيب وغياب وغيب أيضاً. وإنما ثبتت فيه الياء مع التحريك؛ لأنه شبه بصيد وإن كان جمعاً. وصيد مصدر: قولك بعير أصيد؛ لأنه يجوز أن ينوى به المصدر. وغيبته أنا. وغَيابة الجبّ: قَعره. وكذلك غَيابة الوادي. تقول: وقعنا في غَيبة وغَيابة، أي: هَبْطَةً من الأرض. وقولهم: غيَّبه غَيابُهُ، أي دفن في قبره[٢].

قال ابن فارس: الغيب: كل ما غاب عنك[٣].

وعالم الغيب هنا تلك العوالم التي أخبر الله تعالى عنها ولم نرها، فالله ﷻ غيب والملائكة غيب والجنة والنار غيب، فهو عالم واسع كبير تمايز به المؤمن عن الكافر كما هو مسطر في كتاب الله تعالى، قال تعالى: **﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[البقرة: ١-٥].

تعريف الملائكة: قال الجوهري: والملك من الملائكة واحد وجمع، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك ثم تركت همزته؛ لكثرة الاستعمال فقيل: ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا: ملاك وملائك)"[٤].

وقال ابن سيده: (الملاك والملائكة الرسالة، والملاك الملك؛ لأنه يبلغ الرسالة من الله تعالى)[٥].

وقال ابن الأثير: "والملائكةُ: جمعُ مَلْأَكٍ، فِي الْأَصْلِ، ثُمَّ حُذفَتْ همزتهُ؛ لِكَثْرَةِ الاسِتْعمَال، فَقِيلَ: مَلَكٌ، وَقَدْ تحذفُ الهاءُ فَيُقَالُ: مَلَائِك. وَقِيلَ: أصلُه: مَأْلَكٌ، بِتَقْدِيمِ الهمزةِ، مِنَ الأَلُوك: الرِّسالة، ثُمَّ قدِّمَت الهمزةُ وجُمِع"[٦].

المبحث الأول
رؤية الملائكة بين الاستحالة والإمكان

سوف نستعرض فيما يأتي هاتين المسألتين؛ لوضع قاعدة واضحة يبنى عليها هذا البحث وهما:

١- كيف ورد النص باستحالة رؤية الملائكة؟

٢- وما إمكانية الرؤية وما ضوابطها وحالاتها وشواهدها؟

المطلب الأول: استحالة رؤية الملائكة.

هذه القاعدة الربانية في إنزال الملائكة عندما سأل المشركون ذلك، لا يمكن تحققها إلا وفق السنة الإلهية وهي نزول العذاب الذي حصل للأمم والأقوام المكذبة، حيث حل بهم العذاب الاستئصالي الذي يتبعه عادة نهاية دعوات الرسل ونسخ شرائعهم، ولكن الله تعالى أراد لهذه البعثة الخاتمة الكمال وبلوغ أمد الدوام والاستمرارية إلى قيام الساعة، فلم يستجب لطلب المشركين بنزول الملائكة؛ لأنهم لا ينزلون على صورتهم الأصلية إلا بالعذاب، وهم بهذا الطلب المتعنت إنما يريدون نزولاً لهم على هيئتهم الأصلية وهذا ما لا يحصل مطلقاً في هذه الدنيا.

قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾**[الأنعام: ٨-٩].

قال ابن الجوزي: "قوله تعالى وَلَوْ جَعَلْناهُ أي: ولو جعلنا الرسول إليهم مَلَكاً، لجعلناه في صورة رجل؛ لأنهم لا يستطيعون رؤية المَلَك على صورته، وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ أي: لشبَّهنا عليهم. يقال: ألبست الأمر على القوم، أُلبِسه أي: شبهته عليهم، وأشكلته. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكّوا، فلا يدرون أمَلَكٌ هو أم آدميٌّ؟ فأضللناهم بما به ضلّوا قبل أن يُبعث المَلَك، وقال الزجاج: كانوا يلبسون على ضعفتهم في أمر النّبي ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم فقال تعالى: لو رأوا المَلَك رجلاً، لكان يلحقهم فيه من اللَّبْسِ مثلُ ما لحق ضعفتهم منه، وقرأ الزّهريّ، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: «وللبّسنا»، بالتشديد، «عليهم ما يلبّسون»، مشدّدة أيضاً"[٧].

ونقل السمعاني في تفسيره أقوال جمهرة من السلف: "قَالَ ابْن عَبَّاس، وَالضَّحَّاك، وَجَمَاعَة: مَعْنَاهُ: خلطنا عَلَيْهِم مَا يخلطون، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ: أَحدهمَا: أَنهم شبهوا على ضعفائهم فتشبه عَلَيْهِم كَمَا شبهوا، وَينزل الْملك فِي صُورَة رجل (حَيّ)

يشْتَبه عَلَيْهِم؛ فَيَقُول بَعضهم: هُوَ ملك ويقول بَعضهم: لَيْسَ بِملك، وَالْقَوْل الثَّانِي: إِن مَعْنَاهُ: أضللناهم بإنزال الْملك فِي صُورَة رجل، كَمَا ضلوا من قبل، أَي: لَو حسبوا أَن يهتدوا بإنزال الْملك، فإنزال الْملك لَا يعجزنا من إضلالهم بِهِ"[8].

وقال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أو نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾**[الفرقان: ٢١-٢٣].

قال الإمام القرطبي في قَوْلِهِ" أو تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا"، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾** حَيْثُ سَأَلُوا اللَّهَ الشَّطَطَ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ أو عِنْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ"[9].

وقال ابن كثير في قوله: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾** أي: هُمْ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي يَوْمِ خَيْرٍ لَهُمْ، بَلْ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لَهُمْ، وَذَلِكَ يَصْدُقُ عَلَى وَقْتِ الِاحْتِضَارِ حِينَ تُبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالنَّار "[10].

وقال تعالى: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أو يَأْتِيَ رَبُّكَ أو يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾**[الأنعام: ١٥٨].

قال الإمام البغوي في قَوْلُهُ تَعَالَى: "هَلْ يَنْظُرُونَ، أَيْ: هَلْ يَنْتَظِرُونَ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَإِنْكَارِهِمُ القرآن، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ؛ لتقبض أَرْوَاحِهِمْ، وَقِيلَ: بِالْعَذَابِ، قَرَأَ حَمْزَةُ والكسائي (يأتيهم) بالياء هنا وَفِي النَّحْلِ، وَالْبَاقُونَ بِالتَّاءِ، أو يَأْتِيَ رَبُّكَ، بِلَا كَيْفٍ؛ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ القيامة، أو يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ، «يَعْنِي: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»، عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ، وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَرْفُوعًا، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَيْ: لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ عِنْدَ ظُهُورِ الْآيَةِ الَّتِي تَضْطَرُّهُمْ إلى الْإِيمَانِ، أو كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً، يُرِيدُ: لَا يُقْبَلُ إِيمَانُ كَافِرٍ وَلَا تَوْبَةُ فَاسِقٍ، قُلِ انْتَظِرُوا، يَا أهل مَكَّةَ، إِنَّا مُنْتَظِرُونَ، بِكُمُ الْعَذَابَ"[11].

وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾**[الحجر ٦-٨].

وقال البغوي أيضاً": إِلَّا بِالْحَقِّ أَيْ: بِالْعَذَابِ وَلَوْ نَزَلَتْ يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ لَعَجَّلُوا بِالْعَذَابِ، وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ أَيْ، مُؤَخَّرِينَ؛ وَقَدْ كَانَ الْكُفَّارُ يَطْلُبُونَ إِنْزَالَ الْمَلَائِكَةِ عِيَانًا فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا، وَمَعْنَاهُ إِنَّهُمْ لَوْ نَزَلُوا عيانا لَزَالَ عَنِ الْكُفَّارِ الْإِمْهَالُ وَعُذِّبُوا فِي الْحَالِ"[12].

وقال الشيخ عمر الأشقر –رحمه الله–: "صعوبة رؤية الملائكة، فالكفار عندما يقترحون رؤية الملائكة، وأن يكون الرسل إليهم ملائكة لا يدركون طبيعة الملائكة، ولا يعلمون مدى المشقة والعناء الذي سيلحق بهم من جراء ذلك، فالاتصال بالملائكة ورؤيتهم أمر ليس بسهل، فالرسول ﷺ مع كونه أفضل الخلق، وهو على جانب عظيم من القوة الجسمية والنفسية عندما رأى جبريل على صورته أصابه هول عظيم ورجع إلى منزله يرجف فؤاده، وقد كان ﷺ يعاني من اتصال الوحي به بشدّة؛ ولذلك قال في الردّ عليهم: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾**[الفرقان: ٢٢]؛ ذلك أنّ الكفار لا يرون الملائكة إلا حين الموت أو حين نزول العذاب، فلو قُدِّر أنهم رأوا الملائكة لكان ذلك اليوم يوم هلاكهم[13].

وقال الشيخ في موضع آخر: "ولما كانت الملائكة أجساماً نورانية لطيفة، فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم، خاصة أن الله لم يعط أبصارنا القدرة على هذه الرؤية"[14].

وبهذا يتضح لنا استحالة رؤية الملائكة في الدنيا على هيئتها كما طلب المشركون، وبينت الآيات أن هذه الرؤية لو حصلت لكانت نزول العذاب، كما حل ذلك في أمم الرسل السابقين المعذبين، أو قبض الأرواح كما هو منصوص عليه في

واقع البشرية.

المطلب الثاني: إمكانية رؤية الملائكة.

من خلال النظر في آيات الكتاب العزيز وأقوال النبي ﷺ يمكننا البحث في حقيقة رؤية الأنبياء –عليهم السلام– وغيرهم من البشر للملائكة الكرام؛ وذلك أن الأنبياء أوتوا من الخصائص التي تجعلهم يرون ما لا نرى، والدليل على ذلك قول الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾[الأنعام: ٧٥].

وقوله لموسى عليه السلام: ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾[طه٢٣].

وقوله لسيد الخلق –عليه الصلاة والسلام–: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾[النجم: ١٨].

قال الإمام الماوردي في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيات رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: ما غشي السدرة من فراش الذهب، قاله ابن مسعود. الثاني: إنه قد رأى جبريل وقد سد الأفق بأجنحته ، قاله ابن مسعود أيضاً، الثالث: ما رآه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده ، قاله الضحاك(١٥).

وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ» قَالَتْ: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، **تَرَى مَا لاَ نَرَى**، تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ(١٦).

ولا بد لرؤية هذه العوالم من قوى توضع في ذوات الرسل تجعلهم قادرين على رؤية الملائكة؛ أن الوسيلة الأشهر في إبلاغ الرسل بالرسالات الإلهية هي الملائكة.

أما البشر العاديون فلا شك أن رؤيتهم محدودة في إطار التشكل على هيئة البشر فقط كما دلت النصوص على ذلك في الحياة الدنيا، وهذا ما سنعالجه في هذا البحث إن شاء الله.

وقد دلت النصوص على إمكانية هذه الرؤية قال السيوطي: "رؤية الملائكة الآن ممكنة، كرامة يتكرم الله بها على من يشاء من أوليائه، نص على ذلك الإمام الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال، وتلميذه القاضي أبو بكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتاب قانون التأويل، والقرطبي في التذكرة وغيرهم، ووقع ذلك لجماعة من الصحابة"(١٧).

وما قاله السيوطي وغيره من العلماء هو في مقام الرؤية المنامية، ولكن هناك من الأخبار الثابتة عن رسول الله ما تفيد إمكانية الرؤية لهم صحوا وليس مناماً، وإن كنا لا نستطيع الجزم بأن مقصده الرؤية لهم على الخلقة الأصلية، عَنْ حَنْظَلَةَ الأسدي، قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١٨).

وهذا هو الإمكان المعتبر في رؤية الملائكة الذي نقول به، ولكن إما على صورتهم الأصلية أو بالتشكل أو رؤية أثر الملك أو الرؤية على هيئة السرج والمصابيح كما هو ثابت من دلائل القرآن والسنة والآثار الصحيحة، وهذا ما يتضح من خلال المباحث والمطالب الآتية.

المطلب الثالث: رؤية آدم للملائكة وإبليس في الجنة التي عاش فيها.

لقد ذكر الله تعالى في قصة خلق آدم عليه السلام وهو أبو البشر هذا الأمر الذي يدل على إعطائه من قوة الإدراك؛ لمشاهدة الملائكة وإبليس أيضاً وهي العوالم العاقلة المكلفة بالعبودية لله وحده(١٩)، قال تعالى: **﴿وَعَلَّمَ آدم الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدم أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أعلم غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدم فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**[البقرة: ٣١-٣٤].

لقد دلت الآية على التقاء هذه الأجناس الثلاثة الملائكة وإبليس الجني، وآدم الإنسان، في لحظة التعليم ولحظة الأمر بالسجود لآدم، ولا يتصور ذلك إلا برؤية آدم لهم على الحقيقة، ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ آدم عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ، النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدم، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ"(٢٠).

ولكن لا يوجد من النصوص وتفاسير العلماء ما يسعفنا بالجزم بالرؤية على غير الحقيقة فهل يتصور أنهم على هيئته هو؟ وهو المخلوق الجديد الذي لم يرَ مثل جنسه، أم على هيئتهم الحقيقية التي تعبر عن أجناسهم وخلقهم الذي تمايزوا به أي الملائكة وإبليس؟، فالرؤية هذه إما على الحقيقة وإما على تشكل لا نعرفه ولا نجزم به والرأي الذي أقول به هو التوقف عن الجزم بأي من إحدى الحالتين السابقتين، مع أنني أميل إلى وقوع الرؤية على حقيقة الخلق الأصلية للملائكة عليهم السلام وإبليس، لدلالة النصوص الظاهرة على ذلك، كما أن القرآن ذكر رؤية مريم للروح القدس وكيف تمثل لها بشراً فقال تعالى: **﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾**[مريم: ١٧].

ولو كانت رؤية آدم عليه السلام للملائكة على غير الخلقة الحقيقية لبين الله ذلك، والله اعلم.

المطلب الرابع: رؤية جملة من الأنبياء للملائكة في الأرض.

ذكــر الله تعالى حدوث رؤية الملائكة لجملة من الأنبياء على هيئة البشر ومنهم إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: **﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾** [الحجر: ٥١-٥٦].

وذكر الله تعالى رؤية لوط للملائكة على الهيئة البشرية: **﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾**[الحجر: ٦١-٦٦].

وجاء في الحديث الصحيح رؤية موسى عليه السلام لملك الموت على هيئة البشر:

روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: " أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إلى مُوسَى –عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ–، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إلى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ"، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إلى جَانِبِ الطَّرِيقِ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»(٢١).

واختلف العلماء في الخصم الذين دخلوا على داوود ففزع منهم حتى قال بعضهم: إنهم ملائكة جاءوا إليه على هيئة بشر يختصمون لبيان فعل فعله لا يليق بالرسل، قال تعالى: **﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾**[ص: ٢١-٢٦].

وخلاصته كماَ فِي بعض الْقَصَص التي لا سند لها يعتد به (أَن الله تَعَالَى حذره يَوْمًا، وَقَالَ: هُوَ يَوْم فتنتك، وَفِي بَعْضهَا: إِنه سمع بني إسرائيل يَقُولُونَ فِي دعواتهم: يَا إِلَه إِبْرَاهِيم وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب، فَأحب أَن يذكر مَعَهم، فَذكر ذَلِك لله تَعَالَى فِي مناجاته، فَقَالَ: يَا دَاوُود إِنِّي ابتليتهم فصبروا. فَقَالَ: لَو ابتليتني صبرت، فَقَالَ: يَا دَاوُود إِنِّي مبتليك يَوْم كَذَا، فَلَمَّا كَانَ ذَلِك الْيَوْم دخل فِي متعبده، وتخلى لِلْعِبَادَةِ وَلما كَانَ فِي ذَلِك الْيَوْم وتخلى لِلْعِبَادَةِ وَجعل يُصَلِّي وَيقْرَأ التَّوْرَاة وَالزَّبُور ويكب على قراءتهما، فَبَيْنَمَا هُوَ خلال ذَلِك؛ إِذْ سقط طير من ذهب قَرِيباً مِنْهُ، وَيُقَال: إِنَّه إِبْلِيس تصور فِي صُورَةِ طير، وَكَانَ جناحاه من الدّرّ والزبرجد، فأعجبه حسن الطير، فقصد أَن يَأْخُذهُ فتباعد مِنْهُ، وَجعل هُوَ يتبعهُ إِلَى أَن أسرف فِي اتِّبَاعه إِلَى دَار من دور جِيرَانه، فَرَأى امْرَأَة تَغْتَسِل، فأعجبه حسنها وخلقها، وَفتن بهَا، فَلَمَّا أحست الْمَرْأَة بِمن ينظر إِلَيْهَا؛ حللت شعرهَا، فغشاها شعرهَا؛ فازداد داوود فتْنَة، وَرجع وَسَأَلَ عَن الْمَرْأَة؛ فَقيل: إِنَّهَا امْرَأَة أوريا بن حنان، فَكَانَ فِي ذَلِك الْوَقْت توجه غازيا إِلَى بعض الثغور، فَأحب أَن يقتل ويتزوج بامرأته، فَذكر بَعضهم أَن ذَنبه كَانَ هَذَا الْقدر، وَذكر بَعضهم: انه كتب إِلَى أَمِير الْجَيْش أَن يَجْعَل أوريا قُدَّام التابوت، وَكَانَ من جعل قُدَّام التابوت فإمَّا أَن يقتل أَو يفتح الله على يَدَيْهِ، فَلَمَّا جعل قُدَّام التابوت قتل، فَتزَوج داوود الْمَرْأَة بَعْدَمَا انْقَضتْ عدتهَا)[٢٢].

وقد رد جمهور المفسرين هذه الفرية وهذا ملخص أقوالهم، قال الماوردي: (واختلف في الذنب على أربعة أقاويل: أحدها: أنه سمع من أحد الخصمين وحكم له قبل سماعه من الآخر)[٢٣]، وقال الزمخشري (فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين، فضلا عن بعض أعلام الأنبياء)[٢٤]، وقال الالوسي(ونعلم قطعا أن الأنبياء -عليهم السلام- معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة إنا لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشيء مما يذكرون أنه وحي من الله تعالى فما حكى الله تعالى في كتابه)[٢٥] ومن أفضل هذه الردود ما قاله ابن حزم: (ما حكاه تعالى عن داوود ﷺ قوله صادق صحيح، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولّدها اليهود، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم، بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نصّ الآية، ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله ﷻ، وقوله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذّب الله ﷻ وأقر على نفسه الخبيثة، أنه كذّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ) فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفلنيها فأعجبوا، لم يقحمون فيه الباطل أنفسهم؟ ونعوذ بالله من الخذلان، ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجرّدة، وتالله! إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره، ثم يعرّض زوجها للقتل عمداً؛ ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال

السفهاء المتهوّكين الفسّاق المتمردين، لا أفعال أهل البرّ والتقوى، فكيف برسول الله ﷺ الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟ لقد نزّهه الله ﷻ عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله، فكيف أن يستضيف إلى أفعاله؟ وأما استغفاره وخروره ساجداً، ومغفرة الله له، فالأنبياء –عليهم السلام– أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة. والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبيّ، ولا من مذنب ولا من غير مذنب، فالنبيّ يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة كما قال الله تعالى: **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾**[غافر: ٧](٢٦).

وقال البرهان البقاعي: (وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود، ثم قال: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داوود عليه السلام؛ لأن عيسى عليه السلام من ذريته؛ ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه)(٢٧).

وقال الرازي: (والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه: الأول: إن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجوراً لاستنكف منها)(٢٨).

وبهذا يتضح بطلان مقالة القائلين: إن الملائكة جاءت لداوود عليه السلام على صورة بشر يختصمان، كما يبطل قول من قال المقالة الظالمة بحقه عليه السلام، ومناسبة هذا العرض لبيان عدم رؤية داوود للملائكة على هذا الزعم من بعض المفسرين الذين تأثروا بالروايات الإسرائيلية.

المبحث الثاني
رؤية نبينا محمد ﷺ للملائكة

جاءت بعثة النبي الخاتم –عليه الصلاة والسلام–؛ لتعبر عن صورة الكمال المطلق في التصور العقدي والجانب التشريعي وغيره فقال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾**[المائدة: ٣].

وبالنظر الدقيق في النصوص فإننا نجد صورة واضحة لا تحتمل التأويل عن خصائص لنبينا ﷺ في رؤيته للملائكة، والتي أرى أنها مرت بمراحل خمسة وهي: ١– سماع الصوت ٢– رؤية الضوء ٣– رؤية جبريل قبل البعثة ٤– رؤيته لجبريل عند البعثة وبعدها ٥– رؤيته لملائكة آخرين، وسوف افصلها على النحو الاتي:

المطلب الأول والثاني، سماع الصوت ورؤية الضوء.

وقد جمعتها مع بعضها؛ لتلازمها ولورود النص عليها في صحيح مسلم، والظاهر أنها كانت توطئة؛ لتحمل رؤية الملك عندما يرسل إليه –عليه الصلاة والسلام– حين رآه عند غار حراء فهي مرحلة تمهيدية فيها لفت انتباه النبي ﷺ إلى عالم غيبي يسمع منه ويرى ضوءه ولا يراه والله أعلم، وكانت مدة سماع الصوت ورؤية الضوء سبع سنين ولم يرَ صاحب الصوت والضوء في هذه السبع المذكورة، روى الإمام مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «أَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الضَّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ، وَلَا يَرَى شَيْئًا، وَثَمَانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا»(٢٩).

قَالَ الْقَاضِي عياض: (أَيْ: صَوْتَ الْهَاتِفِ بِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَيَرَى الضَّوْءَ أَيْ: نُورَ الْمَلَائِكَةِ وَنُورَ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى رَأَى الْمَلَكَ بِعَيْنِهِ وَشَافَهَهُ بِوَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى)(٣٠).

وقال القاري: («أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً») أَيْ: بِإِدْخَالِ سِنِيِّ الْوِلَادَةِ"(٣١) وَالْهِجْرَةِ (يَسْمَعُ الصَّوْتَ) أَيْ: صَوْتَ جِبْرِيلَ (وَيَرَى الضَّوْءَ) أَيِ: النُّورَ فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ ضِيَاءً عَظِيمًا (سَبْعَ سِنِينَ)، قَالَ الطِّيبِيُّ: يَعْنِي أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرَى مِنْ أَمَارَاتِ النُّبُوَّةِ سَبْعَ سِنِينَ ضِيَاءً مُجَرَّدًا، وَمَا رَأَى مَعَهُ مَلَكًا وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَلَا يَرَى شَيْئًا)، أَيْ: سِوَى الضَّوْءِ قَالُوا:

وَالْحِكْمَةُ فِي رُؤْيَةِ الضَّوْءِ الْمُجَرَّدِ دُونَ رُؤْيَةِ الْمَلَكِ حُصُولُ اسْتِئْنَاسِهِ أَوَّلًا بِالصَّوْتِ الْمُجَرَّدِ؛ وَذَهَابُ رَوْعِهِ إِذْ فِي رُؤْيَةِ الْمَلَكِ مَظِنَّةُ ذُهُولٍ وَذَهَابُ عَقْلٍ لِغَلَبَةِ دَهْشَتِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ خَطِيرٌ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الْمَلَكِ فِي قَوْلِهِ: وَالسِّرُّ فِيهِ أَنَّ الْمَلَكَ لَا يُفَارِقُهُ ضَوْءُ الْمَلَكِيَّةِ وَنُورُ الرُّبُوبِيَّةِ، فَلَوْ رَآهُ ابْتِدَاءً فَلَرُبَّمَا لَمْ تُطِقْهُ الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ، وَعَسَى أَنْ يَحْدُثَ مِنْ ذَلِكَ غَشْيٌ، فَاسْتُؤْنِسَ أَوَّلًا بِالضَّوْءِ ثُمَّ غَشِيَهُ الْمَلِكُ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالضَّوْءِ انْشِرَاحُ صَدْرِهِ قَبْلَ نُزُولِ الْوَحْيِ، فَسُمِّيَ الِانْشِرَاحُ ضَوْءًا، وَلَا يُكْمَلُ انْشِرَاحُ صَدْرِهِ إِلَّا بَعْدَ وُصُولِهِ إلى أَرْبَعِينَ؛ لِيَسْتَعِدَّ أَنْ يَكُونَ وَاسِطَةً بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ. (وَثَمَانِ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ)، أَيْ: فِي مَكَّةَ (وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا وَتُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ)، قَوْلُهُ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَمْ يَقَعْ فِي مَوْقِعِهِ؛ لِأَنَّ الْبُخَارِيَّ لَمْ يُخْرِجْهُ. بَلْ هُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فَقَطْ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْحُمَيْدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ شَيْخُنَا ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ)(٣٢).

المطلب الثالث: رؤيته الملك قبل البعثة.

وهذه الرؤية كما دلت عليها الأحاديث حصلت له في بادية بني سعد عندما شق جبريل ﷺ صدره المرة الأولى بعد عودة حليمة السعدية به بعد فطامه، وقد نص الحديث أنه جبريل ﷺ ولم يحدد صفة معينة للملك الذي راه أو رآه الصبيان الذين قدموا إلى ظئره وأخبروه بما راؤوا، ولكن الظاهر من الرواية أنهم راؤو ذلك الآتي على هيئة إنسان وهذه هي الرواية كما أوردها مسلم بسنده: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ -يَعْنِي ظِئْرَهُ- فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ"، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»(٣٣). وروى الإمام أحمد وغيره مثله بسندهم عَنْ أَنَسٍ ﷺ"(٣٤).

وروى البخاري ومسلم الشق الثاني لصدره الشريف الذي حدث له ليلة الإسراء والمعراج، وهذه حصلت له بعد البعثة وقد سقتها هنا؛ لأنني لمحت في الشقين الذي حدثا لصدره ﷺ تعدد الهدف والغاية، ففي المرة الأولى وهو صغير نصت الرواية على استخراج العلقة السوداء من قلبه ﷺ وهي حظ الشيطان، والرواية الثانية كما سياتي نصت على أن الطست الذي جاؤوا به ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدر الحبيب -عليه الصلاة والسلام-.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا"(٣٥).

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط بعد أن تتبع طرق هذا الحديث مقارنة بما ورد في كتب الصحيح التي روت شق صدره ﷺ ليلة الإسراء والمعراج: وقع في رواية أنس عن أبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي بن كعب أن حادثة شق الصدر كانت في ليلة الإسراء والمعراج، ورواية أبي ذر ومالك في "الصحيحين".

أما رواية محمد بن كعب عن أبي بن كعب، ففيها أنها وقعت وهو ابن عشر سنين، وأما رواية عتبة بن عبد، ورواية شداد بن أوس، ورواية حليمة السعدية ففيها أن هذه الحادثة وقعت وهو صغير في ديار بني سعد. وأما رواية عائشة ففيها أن هذه الحادثة وقعت عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء، هذا ويترجح لدينا -بعد دراسة أسانيد هذه الأحاديث- أن الذي صح في هذه الحادثة أنها وقعت له ﷺ مرتين: الأولى: وهو صغير عند ظئره في بني سعد كما في رواية أنس هنا، والثانية: في ليلة الإسراء والمعراج كما في رواية أنس عن أبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي بن كعب(٣٦).

وهذا لا يستغرب فإن الرعاية الإلهية له ﷺ لا يمكننا الاطلاع على دقائقها بالتفصيل فقد نص الله تعالى على شرح صدره بالكتاب العزيز وامتن عليه بكمالات هيئته لتحمل الرسالة الخاتمة وإتمامها على الوجه الأكمل فقال تعالى: **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾**[الشرح: ١-٨].

أما بعد البعثة فقد توسعت الرؤية للملائكة من النبي ﷺ بعد أن ركبت فيه القوى القادرة على تحمل الرؤية للملائكة على حقيقتهم تارة وعلى هيئة التشكل البشري تارة أخرى، ويمكن تقسيم هذه الرؤية إلى قسمين: وهما رؤيته لجبريل خاصة على خلقته الملائكية، والأخرى رؤيته له على هيئة البشر، وسوف نبين هذين النوعين من خلال النصوص الدالة على ذلك.

المطلب الرابع: رؤيته لجبريل على خلقته الأصلية:

وقد أخبرت النصوص القرآنية والنبوية عن حدوث هذه الرؤية مرتين وقد كانت أولاهما في الأبطح عند غار حراء، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾**[التكوير: ٢٣]، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على حدوث هذه الرؤية وهي الأولى كما روى البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾**[المدثر: ١-٢] إلى [صفحة ٨] قَوْلِهِ: **﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾**[المدثر: ٥]. فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ(٣٧).

ويبدو في هذه الرواية أنه رآه مرتين، الأولى: في الأرض عند نزوله عليه بسورة اقرأ، والثانية وهو يمشي لقوله: فاذا الملك الذي جاءني في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، أو أن الرؤية تمت له بعد انفصاله عنه بعد أن قرأ عليه سورة اقرأ، وهذا القول منه ﷺ قاطعا برؤيته لجبريل عليه السلام في الأرض؛ لأنه رآه بين السماء والأرض.

وروى البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- قالت "وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ»(٣٨).

وروى مسلم عن مسروق قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾**[التكوير: ٢٣]، **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾**[النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»(٣٩).

والثانية: رؤيته لجبريل في السماء ليلة الإسراء والمعراج ويظهر ذلك أيضاً جلياً من خلال النصوص الآتية، ومنها قوله تعالى: **﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾**[النجم: ١٢-١٨].

وروى الإمام البخاري عن أَبي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾**[النجم: ١٠] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٤٠).

وبهذا يتضح لنا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣].

المطلب الخامس: رؤيته لجبريل على هيئة البشر.

وسوف نسوق أبرز الروايات وهي كثيرة جداً، فقد رآه ليلة الإسراء والمعراج وتحديداً بإيلياء، قالَ ابْنُ المُسَيِّبِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ"(٤١).

ورآه ليلة غزو بني قريظة، فعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُقَالُ لَهُ حِبَّانُ بْنُ العَرِقَةِ وَهُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ، مِنْ بَنِي مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الغُبَارِ، فَقَالَ: "قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَيْنَ فَأَشَارَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ"(٤٢).

كما رآه يوم بدر وأخبر أنه آخذ بعنان فرسه، عن ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ»(٤٣).

ومنه حديث أسئلة جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة وقد تمت رؤيته لمن حضر من الصحابة –رضوان الله عليهم– عن أبي هريرة قال: "ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: «رُدُّوا عَلَيَّ» فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوا فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ»"(٤٤).

المطلب السادس: رؤيته لملائكة آخرين غير جبريل.

وهذه صورة واسعة يطول حصرها ولا يعلم عن هذه الرؤية إلا أنها وردت دون تحديد الكيفية هل كانت على خلقتهم؟ أو على هيئة بشر؟ ومن هذه الروايات، ما رواه البخاري عن عائشة –رضي الله عنها– قالت قال رسول الله ﷺ: فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"(٤٥).

وفي حديث المعراج الطويل ذكر –عليه الصلاة والسلام– ملائكة لا يعلم إن كان رآهم أو أخبر عنهم، وإن كان أصل الخبر يدل على رؤيتهم، كيف لا وقد رأى جبريل على هيئته الأصلية، ولعل رؤيتهم أيضاً كانت على خلقتهم الأصلية أيضاً، وسوف اقتطف الشاهد من الحديث فقط؛ لطوله، قال –عليه الصلاة والسلام–: "فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ...فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ...

فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ: فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ(٤٦).

فهنا يلاحظ أنه في كل سماء كان يستأذن له جبريل عليه السلام وتفتح له الملائكة وتثني ويسمع الصوت فلا غرابة أيضاً أن يرى من يفتح له الأبواب، ثم في مروره على البيت المعمور الذي لا يخلو من الملائكة، لعله رأى جمهرة كثيرة من الملائكة داخله وخارجه والله أعلم.

وروى أبو داوود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(٤٧) ولا نعلم إن كان هذا الإخبار عن رؤية لهذا الملك أيضاً.

وروى مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ"(٤٨).

وقد أخبر النبي ﷺ عن الملائكة الذين يكتبون أجور المبكرين لصلاة الجمعة ومثل هذا الإخبار لا يكون إلا عن وحي أخبر به عنهم، أو أنه أخبر بذلك عن رؤية عيانية لهؤلاء الملائكة والله أعلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَكٌ يَكْتُبُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ –مَثَّلَ الْجَزُورَ، ثُمَّ نَزَّلَهُمْ حَتَّى صَغَّرَ إلى مَثَلِ الْبَيْضَةِ– فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ، وَحَضَرُوا الذِّكْرَ»(٤٩).

وروى مسلم عن ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أهل الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾**[الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إلى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ"(٥٠).

وروى البخاري عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ أَو لاَ تَبْكِينَ مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ»(٥١)، وهذا لا يكون إلا عن وحي أخبر به أو رؤيا عين أخبر هو عنها، والله أعلم.

وبهذا يتضح لنا من خلال هذه النصوص تعدد أشكال الرؤية للملائكة وخاصة لنبينا ﷺ الذي أوتي من الخصائص ما لم يؤته غيره من البشر العاديين، وكل هذه الأمور دالة على تحقق رؤية الملائكة بضوابط خاصة في هذه الدنيا.

المبحث الثالث
رؤية الصحابة للملائكة الكرام

وهذه من خصائص الصحابة الذين أكرمهم الله تعالى بصحبة نبيه ﷺ، وهي من فضائلهم التي نالوها بفضل السبق للإيمان بالله ورسوله ﷺ وتأتي بعد الاستقصاء على النحو الآتي:

المطلب الأول: الرؤية على هيئة البشر.

روى البخاري عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ»(٥٢).

وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع: ((أن جبريل جاء للنبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدراً فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة))(٥٣).

ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾**[آل عمران: ١٢٣-١٢٥].

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال في يوم بدر: ((هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب))(٥٤).

ومنها رؤيتهم لجبريل على هيئة رجل شديد بياض الثياب الذي سبق ذكره، ورؤيته على هيئة دحية الكلبي.

المطلب الثاني: الرؤية على هيئة السرج والمصابيح.

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أصبح حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إلى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأصبحتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»(٥٥).

قال الامام النووي: قَوْلُهُ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ تِلْكَ السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ وَفِي الرِّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأصبحتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ قَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى السَّكِينَةِ هُنَا أَشْيَاءُ الْمُخْتَارُ مِنْهَا أَنَّهَا شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تعالى فيه طُمَأْنِينَةٌ وَرَحْمَةٌ وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ وَاللَّهُ أعلم وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ رُؤْيَةِ آحَادِ الْأُمَّةِ الْمَلَائِكَةَ وَفِيهِ فَضِيلَةُ الْقِرَاءَةِ وَأَنَّهَا سَبَبُ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَحُضُورِ الْمَلَائِكَةِ وَفِيهِ فَضِيلَةُ اسْتِمَاعِ القرآن قَوْلُهُ ﷺ اقْرَأْ فُلَانُ وَفِي الرواية الأخرى اقرأ ثلاث مرات معناه كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَمِرَّ عَلَى القرآن وَتَغْتَنِمَ مَا حَصَلَ لَكَ مِنْ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ وَتَسْتَكْثِرَ مِنَ الْقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ بَقَائِهَا"(٥٦).

المطلب الثالث: رؤية أثر الملائكة.

وهذا الأثر إما صوتاً أو غباراً كما يأتي، فقد سمع أحد المقاتلين من المسلمين صوت ضربة الملك يضرب أحد الكفار وصوته وهو يزجر فرسه، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس ((بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، إذ نظر المشرك أمامه فخر مستلقيا قال: فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقت فذلك من مدد السماء الثالثة))(٥٧).

وأما الغبار أو النقع فعن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى الغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ»(٥٨).

المطلب الرابع: رؤية الملائكة مناما من بعض الصحابة:

روى البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا أَعْزَبَ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي المَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إلى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ البِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ، فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ" فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: «فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»(٥٩).

ولم يبين لنا ابن عمر –رضي الله عنهما– إن كان رآهما على هيئة البشر أو خلاف ذلك.

المبحث الرابع
رؤية النساء للملائكة وسماع ندائهم

وقد ذكر الله تعالى رؤية النساء للملائكة ومنهن:

سارة زوجة إبراهيم ﷺ فقد أخبر الله سبحانه أنها رأتهم وخاطبتهم، فقال تعالى: **﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أهل الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾**[هود: ٧١–٧٣].

أما زوجة لوط وقومه فلا يوجد من النصوص ما يثبت رؤيتهم، قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ * وَجَاءَ أهل الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾**[الحجر: ٦١–٦٩]، ولكن الله تعالى أعمى أبصار القوم إما بعد الرؤية للملائكة أو قبلها، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾**[القمر: ٣٧–٣٨]، قال الماوردي: "والطمس محو الأثر ومنه طمس الكتاب إذا محي، وفي طمس أعينهم وجهان: أحدهما: أنهم اختفوا عن أبصارهم حتى لم يروهم، مع بقاء أعينهم، قاله الضحاك. الثاني: أعينهم طمست حتى ذهبت أبصارهم وعموا فلم يروهم، قاله الحسن، وقتادة"(٦٠).

ولا يعلم إن كانت هاجر زوج إبراهيم عليه السلام قد رأت جبريل أم سمعت صوته فقط كما في الخبر، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَأَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، تَعْنِي الصَّبِيَّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا»(٦١).

وقد ذكر الله تعالى مجيء الملك إلى مريم –عليها السلام–، فقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾[مريم: ١٦–٢١].

وورد أيضاً رؤية عائشة لجبريل عليه السلام على هيئة دحية الكلبي رضي الله عنه: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاضِعًا يَدَكَ عَلَى مِعْرَفَةِ فَرَسٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ تُكَلِّمُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ فَقَالَ «وَقَدْ رأيته؟» قَالَتْ: نَعَمْ قَالَ «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ» قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ زائر وَمِنْ دَخِيلٍ فَنِعْمَ الصَّاحِبُ، وَنِعْمَ الدَّخِيلُ(٦٢).

كما أكرم الله تعالى أم سلمة –رضي الله عنها– بمثل رؤية عائشة:

روى البخاري: حَدَّثَنَا أَبُو عُثْمَانَ، قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أو كَمَا قَالَ، قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أيم اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ، أو كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ(٦٣).

المبحث الخامس
رؤية الملائكة في بني إسرائيل

وسوف أقتصر بذكر النصوص الثابتة عندنا من الكتاب والسنة وأقوال العلماء بعيداً عن نقول التوراة المحرفة، وقد دلت نصوص الكتاب على ذلك، ومنها رؤية السامري لأثر الرسول الذي جاء لأخذ موسى لميقات ربه، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[طه: ٩٥–٩٨].

قال ابن جزيء الغرناطي: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يا سامري**﴾ أي قال موسى ما شأنك؟ ولفظ الخطب يقتضي الانتهار؛ لأنه

يستعمل في المكاره ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه يعني: جبريل عليه السلام وفرسه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرسول﴾ أي: قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود « من أثر فرس الرسول » وإنما سمى جبريل بالرسول؛ لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، ويقال: قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة: إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرىء كذلك في الشاذ ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي، فصار عجلاً أو على العجل فصار له خوار ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى عليه السلام السامري؛ بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا مماسة ولا إذاية، وروي أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه"[٦٤].

وقال ابن عاشور: "وعَلى حمل هَذِه الْكَلِمَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا يَتَعَيَّنُ صَرْفُ الرَّسُولِ عَنِ الْمَعْنَى الْمَشْهُورِ، فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى جِبْرِيلَ فَإِنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إلى الْأَنْبِيَاءِ. فَقَالَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: الْمُرَادُ بِالرَّسُولِ جِبْرِيلُ، وَرَوَوْا قِصَّةً قَالُوا: إِنَّ السَّامِرِيَّ فَتَنَهُ اللَّهُ، فَأَرَاهُ اللَّهُ جِبْرِيلَ رَاكِبًا فَرَسًا فَوَطِئَ حَافِرُ الْفَرَسِ مَكَانًا فَإِذَا هُوَ مُخْضَرٌّ بِالنَّبَاتِ. فَعَلِمَ السَّامِرِيُّ أَنَّ أَثَرَ جِبْرِيلَ إِذَا أُلْقِيَ فِي جَمَادٍ صَارَ حَيًّا، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ وَصَنَعَ عجلا وَألقى القبضة عَلَيْهِ فَصَارَ جَسَدًا، أَيْ حَيًّا، لَهُ خُوَارٌ كَخُوَارِ الْعِجْلِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الْإِلْقَاءِ بِالنَّبْذِ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرُوهُ لَا يُوجَدُ فِي كُتُبِ الْإِسرائيلِيِّينَ وَلَا وَرَدَ بِهِ أَثَرٌ مِنَ السُّنَّةِ وَإِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَلَعَلَّهَا تَسَرَّبَتْ لِلنَّاسِ مِنْ رِوَايَاتِ الْقَصَّاصِينَ"[٦٥].

ولا شك أن الآيات دالة بأن السامري رأى ملكاً وأخذ من أثره وفعل ما فعل في صنعه العجل وفتنة بني إسرائيل؛ ولذا قال موسى عليه السلام لما حرقه: ﴿وَانْظُرْ إلى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه: ٩٧، ٩٨].

ومنها رؤية بني إسرائيل للتابوت تحمله الملائكة قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وهنا يتبادر السؤال الآتي: هل رأى بنو إسرائيل الملائكة وهي تحمل التابوت؟ هناك روايات متعددة، قال الراغب الأصفهاني: كان على [عجلة بين ثورين] يسوقهما الملائكة، وقيل: بل الملائكة تحمله في الهواء وهم يرونه[٦٦].

وقال الإمام القرطبي: فرُوِيَ أَنَّهُمْ رَأَوُا التَّابُوتَ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى نَزَلَ بَيْنَهُمْ، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ[٦٧].

وعن وهب بن منبه قال: وضع التابوت على عجلة تجره بقرتين، ووكل بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما، فسارت البقرتين بهما سيرا سريعا، حتى إذا بلغتا طرف القدس كسرتا نيرهما، وقطعتا حبالهما وذهبتا، فنزل إليهما داوود ومن معه، فلما رأى داوود التابوت عجل إليهما فرحاً[٦٨].

قال الحسن: ((كان التابوت مع الملائكة في السماء، فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم))[٦٩].

ولكني ومع تقديري لكل هذه الأقوال، إلا أنني أرى أن دلالة الآية صريحة جداً على الإتيان به محمولاً من الملائكة، وأن هذا الحمل إما عن ملائكة على هيئة البشر رآهم بنو إسرائيل، أو أنه محمولاً لهم في الهواء دون رؤية الحاملين له؛ والدليل القاطع على التفسير هو قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾[البقرة: ٢٤٨] فقد كان حمل التابوت بهذه الطريقة العجيبة آية تدلل على أحقية طالوت بالملك لقوم كانوا يمتحنوا رسلهم بكثرة طلب المعجزات والآيات، ولو جاءت الأبقار تجره على العربة لما كان في ذلك آية يحتج بها عليهم، والله أعلم.

أما السنة النبوية فقد ورد في الصحيح أخبار تفيد رؤية الملائكة من عامة الناس لبني إسرائيل، روى مسلم عن أَبَي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إسرائيل: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى [ص: ٢٢٧٦] الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ – أو قَالَ الْبَقَرُ، شَكَّ إِسْحَاقُ – إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ، أو الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ"(٧٠).

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ"(٧١) ولا يعلم أن كان هذا الرجل من بني إسرائيل أم لا.

ومنها أيضاً ما أخبر به رسول الله ﷺ عن الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً وأنه لما هاجر تائباً جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فحكموا ملكاً جاءهم في صورة آدمي، يقول ﷺ ((فجاءهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له))(٧٢).

الخاتمة والنتائج.

بعد هذا التطواف بهذه النصوص القرآنية والنبوية وأخبار الصحابة الكرام حول رؤية الملائكة في الدنيا، يمكن لنا الخروج بهذه النتائج:

١- استحالة رؤية الملائكة على خلقتهم الأصلية من قبل البشر من غير الرسل والأنبياء.

٢- يبدو من النصوص أن نزول الملائكة على خلقتهم الأصلية في هذه الدنيا ورؤية البشر لهم لا تكون إلا عند المجيء للعذاب وعند قبض الأرواح للموتى.

٣- دلت النصوص على أن أول مخلوق رأى الملائكة هو آدم ﷺ ويبدو أنه رآهم على خلقتهم الأصلية.

٤- ثبت رؤية الرسل للملائكة ولكنها رؤية على هيئة البشر، ولم يثبت لنا رؤية الملائكة على هيئتهم الأصلية بعد آدم إلا لنبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-.

٥- اختص نبينا -عليه الصلاة والسلام- بكمال الرؤيا لهم بصور متعددة منها: سماع الصوت، ثم رؤية الضوء، ثم الرؤية لهم على خلقتهم الأصلية، ورؤيتهم على هيئة البشر.

٦- رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على هيئة البشر قبل البعثة عندما جاءه وشق صدره في بادية بني سعد وأخرج العلقة السوداء من قلبه.

٧- كما رأى جبريل عليه السلام على هيئته الأصلية مرتين في أفق الأبطح عند غار حراء عند بلاغه الأول بالوحي والرسالة وفي ليلة الإسراء والمعراج.

٨- ثبت لنا رؤية الصحابة -رضوان الله عليهم- للملائكة على هيئات متعددة، مثل الرؤية على هيئة السرج والمصابيح، والرؤية على هيئة البشر، ورؤية آثار الملائكة، ورؤيتهم مناما.

٩- ثبتت رؤية الملائكة للنساء على هيئة البشر.

١٠- ثبتت رؤية الملائكة للبشر العاديين على هيئة البشر.

١١- كما ثبتت رؤية الملائكة في بني إسرائيل بصور متعددة.

١٢- هناك ضرورة ملحة في هذا العصر للاقتراب من حقائق النصوص الشرعية بصورة أعمق.

الهوامش:

(١) ينظر هذه الرسالة: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، **الحاوي للفتاوي**، ط دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٥٥.

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، (١/١٩٦).

(٣) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١/٦٨٨). وينظر: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ١/٣٧١.

(٤) الحوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣)، **الصحاح في اللغة**، مادة ململ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٨١.

(٥) ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨)، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج٣، ص١٩٦. وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ك، ج١، ص٦٧٧.

(٦) ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث**، لكتاب: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج٤، ص٣٥٩.

(٧) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٨) السمعاني، منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩)، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر إبراهيم، دار الوطن السعودية، ط١، ١٩٩٧م، ج٢، ص٩٠.

(٩) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب،

الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١٣، ص٢٠.

(١٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، ج٦، ص١٠١.

(١١) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق:** عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص١٣٧.

(١٢) **المرجع السابق،** ج٣، ص٥١.

(١٣) الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، **الرسل والرسالات،** مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص٧٢.

(١٤) الأشقر، **عالم الملائكة الأبرار**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص١٠.

(١٥) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، **تفسير النكت والعيون، تحقيق:** السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥، ص٣٩٧.

(١٦) البخاري، **الصحيح،** كتاب الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء، ح رقم ٦٢٤٩.

(١٧) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٢٢٨. وينظر له أيضاً: **الحبائك في أخبار الملائك،** تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٢٧١.

(١٨) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) **المسند الصحيح،** المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ح رقم ٢٧٥٠.

(١٩) نقصد بذلك عبودية التكليف والتشريع كما أن العبودية لله تشمل الكائنات كلها، كما قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾**[الحج: ١٨].

(٢٠) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع المسند الصحيح،** تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ط١، ١٤٢٢هـ، رقم ٦٢٢٣. ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام مثل أفئدة الطير، رقم ٢٨٤١.

(٢١) البخاري، كتاب الجنائز، باب من أحب أن الدفن في الأرض المقدسة، ح رقم ١٣٣٩.

(٢٢) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن،** تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ج٤، ص٤٣٣.

(٢٣) **تفسير الماوردي** = النكت والعيون، (٨٨/٥).

(٢٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، **تفسير الزمخشري** الكتاب: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،** دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، (٨١/٤).

(٢٥) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، (١٧٨/١٢).

(٢٦) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٤، ص١٤.

(٢٧) القاسمي، **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج٨، ص٢٥٠.

(٢٨) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (٣٧٧/٢٦).

(٢٩) مسلم، **الصحيح**، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة رقم ٢٣٥٣.

(٣٠) عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ)، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة ودار التراث، مشارق، (٦٢/٢).

(٣١) لعله يقصد سني البعثة قبل الهجرة.

(٣٢) القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ج٩، ص٣٧٢٦.

(٣٣) مسلم، **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرسول ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ح رقم ٢٦١.

(٣٤) حنبل، أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط الرسالة، ح رقم ١٢٢٢١، ج١٩، ص٢٥١.

(٣٥) البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة ح رقم ٣٤٩. ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، ح رقم ٢٦٢.

(٣٦) **حاشية المسند**، المرجع السابق، ج١٩، ص٢٥٢.

(٣٧) البخاري، كتاب الوحي، باب بدئ الوحي، ح رقم ٤، وأخرجه مسلم في الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى رقم ١٧٤.

(٣٨) البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ح رقم ٦٩٨٢.

(٣٩) مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قوله ﷻ: "ولقد راه بالأفق الأعلى"، ح رقم ٢٨٧.

(٤٠) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء، ح رقم ٣٢٣٢. وأخرجه مسلم في الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى رقم ١٧٤.

(٤١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير قوله تعالى: **﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾**، ح رقم ٤٧٠٩.

(٤٢) البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ح رقم ٤١٢٢. وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد، رقم ١٧٦٩.

(٤٣) البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، رقم ٣٩٩٥.

(٤٤) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾**، ح رقم ٤٧٧٧.

(٤٥) البخاري، كتاب بدء الخلق، كتاب إذا قال أحدكم أمين، ح رقم ٣٢٣١. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ح رقم ١٧٩٥.

(٤٦) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح رقم ٣٢٠٧.

(٤٧) ابو داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داوود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب السنة، باب الجهمية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، رقم ٤٧٢٧.

(٤٨) مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ح رقم ٨٠٦.

(٤٩) مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب التهجير يوم الجمعة ح رقم ٨٥٠.

(٥٠) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة يوم بدر، ح رقم ١٧٦٣.

(٥١) البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت، ح رقم ١٢٤٤.

(٥٢) البخاري، كتاب المغازي، باب اذ همت طائفتان، رقم ٤٠٥٤.

(٥٣) محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدر رقم الحديث ٣٩٩٢.

(٥٤) محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدر رقم الحديث ٣٩٩٥.

(٥٥) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة، ح رقم ٥٠١٨. ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة، ح رقم ٧٩٦.

(٥٦) النووي، **شرح مسلم**، ج٦، ص٨٢.

(٥٧) مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم الحديث ١٧٦٣.

(٥٨) البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، رقم ٤١١٨.

(٥٩) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما–، ح رقم، ٣٧٣٨ و ٣٧٣٩.

(٦٠) **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، (٤١٨/٥).

(٦١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**﴾، رقم ٣٣٦٥.

(٦٢) الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (ت ٢١٩هـ)، **مسند الحميدي**، حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الدَّارَانيّ أحاديث عائشة أم المؤمنين، دار السقا، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٦م، رقم ٢٧٩.

(٦٣) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم ٣٦٣٤.

(٦٤) ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣١٨.

(٦٥) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ج١٦، ص٢٩٦.

(٦٦) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ج١، ص٥٠٩.

(٦٧) **تفسير القرطبي**، (٢٤٨/٣).

(٦٨) أبو حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، **تفسير ابن أبي حاتم** (مخرجاً)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، ١٤١٩هـ، ج٢، ص٤٧١، رقم الحديث ٢٤٨٩.

(٦٩) البغوي، **تفسير البغوي**، ج١، ص٣٣٦.

(٧٠) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، أول الباب، ح رقم ٢٩٦٤.

(٧١) مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الحب في الله، ح رقم ٢٥٦٧.

(٧٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث: ٢٧٦٦، ج٤، ص٢١١٨.

تم بحمد الله وتوفيقه